

تفسير السعدي

@ 255 @ نأمرك بما أمرناك به من الصبر ، إلا لتحصل لك المنازل العالية والأحوال
الغالية . فلا تظن أن قولهم ، صادر عن اشتباه في أمرك ، وشك فيك . ! 2 2 ! لأنهم يعرفون
صدقك ، ومدخلك ومخرجك ، وجميع أحوالك ، حتى إنهم كانوا يسمونه قبل بعثته الأمين . ! 2
! 2 ! أي : فإن تكذيبهم لآيات الله ، التي جعلها الله على يديك . ! 2 2 ! . فاصبر كما صبروا
، تطفر كما طفروا . ! 2 2 ! ما به يثبت فؤادك ، ويطمئن به قلبك . ! 2 2 ! أي : شق
عليك ، من حرصك عليهم ، ومحبتك لإيمانهم ، فابذل وسعك في ذلك ، فليس في مقدورك ، أن
تهدي من لم يرد الله هدايته . ! 2 2 ! أي : فافعل ذلك ، فإنه لا يفيدهم شيئا . وهذا قطع
لطمعه في هداية أشباه هؤلاء المعاندين . ! 2 2 ! ولكن حكمته تعالى ، اقتضت أنهم يبقون
على الضلال . ! 2 2 ! الذين لا يعرفون حقائق الأمور ، ولا ينزلونها على منازلها . ^ ()
إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون * وقالوا لولا نزل عليه آية
من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ول كن أكثرهم لا يعلمون) ^ يقول تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم : ! 2 2 ! لدعوتك ، ويلبي رسالتك ، وينقاد لأمرك ونهيك ! 2 2 ! بقلوبهم
، ما ينفعهم وهم أولو الألباب والأسماع . والمراد بالسمع هنا : سماع القلب والاستجابة ،
وإلا فمجرد سماع الأذن ، يشترك فيه البر والفاجر . فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله
تعالى ، باستماع آياته ، فلم يبق لهم عذر ، في عدم القبول . ! 2 2 ! يحتمل أن المعنى
، مقابل للمعنى المذكور . أي : إنما يستجيب لك أحياء القلوب . وأما أموات القلوب ،
الذين لا يشعرون بسعادتهم ، ولا يحسون بما ينجيهم ، فإنهم لا يستجيبون لذلك ، ولا ينقادون
، وموعدهم يوم القيامة ، يبعثهم الله ، ثم إليه يرجعون . ويحتمل أن المراد بالآية ، على
ظاهرها ، وأن الله تعالى يقرر المعاد ، وأنه سيبعث الأموات يوم القيامة ثم ينبئهم بما
كانوا يعملون . ويكون هذا ، متضمنا للترغيب في الاستجابة ، ورسوله ، والترهيب من عدم
ذلك . ! 2 2 ! أي : المكذبون بالرسول ، تعنتا وعنادا : ! 2 2 ! . يعنون بذلك ، آيات
الاقتراح ، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة ، وآرائهم الكاسدة . كقولهم : ! 2 2 !
الآيات . ! 2 2 ! مجيبا لقولهم : ! 2 2 ! فليس في قدرته قصور عن ذلك . كيف ، وجميع
الأشياء منقادة لعزته ، مدعنة لسلطانه ؟ ! 2 2 ! فهم لجهلهم وعدم علمهم يطلبون ما هو
شر لهم من الآيات ، التي لو جاءتهم ، فلم يؤمنوا بها لعوجلوا بالعقاب ، كما هي سنة الله ،
التي لا تبدل لها . ومع هذا ، فإن كان قصدهم ، الآيات التي تبين لهم الحق ، وتوضح
السبيل . فقد أتى محمد صلى الله عليه وسلم ، بكل آية قاطعة ، وحجة ساطعة ، دالة على ما

جاء به من الحق ، بحيث يتمكن العبد في كل مسألة من مسائل الدين ، أن يجد فيما جاء به ،
عدة أدلة عقلية ونقلية ، بحيث لا يتبقى في القلوب ، أدنى شك وارتياب . فتبارك الذي أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق ، وأيده بالآيات البينات ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن
بينة ، وإن الله لسميع عليم . ^ (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم
أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) ^ أي : جميع الحيوانات ،
الأرضية والهوائية ، من البهائم والوحوش ، والطيور ، كلها أمم أمثالكم خلقناه كما
خلقناكم ، ورزقناها كما رزقناكم ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا ، كما كانت نافذة فيكم . ^
(ما فرطنا في الكتاب من شيء) ^ أي : ما أهملنا ولا أغفلنا ، في اللوح المحفوظ ، شيئاً
من الأشياء . بل جميع الأشياء ، صغيرها ، وكبيرها ، مثبتة في اللوح المحفوظ ، على ما هي
عليه . فتقع جميع الحوادث ، طبق ما جرى به القلم . وفي هذه الآية ، دليل على أن الكتاب
الأول ، قد حوى جميع الكائنات . وهذا أحد مراتب القضاء والقدر ، فإنها أربع مراتب :